ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
مجلد: 16 عدد: 02 جوان 2020
دور الفكرة الدينية في تحقيق التجديد الحضاري..

دور الفكرة الدينية في تحقيق التجديد الحضاري عند مالك بن نبي

بلحنافي جوهر
جامعة مصطفى اسطنبولي- معسكر – الجزائر
djouher.belhanafi@ univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 16 /2019/09؛ تاريخ القبول: 07 /2020/05

The role of religious idea in achieving cultral renewal by Malek bin Nabi

Abstract:

Malek bin Nabi is considered one of the poles of reform and what distinguishes his thought that he presented a vision to address the stagnation and backwardness' of the Arab Muslim community, and this was the concern that devoted his thought and his life as he focused his attention on searching for the condition s of the renaissance and the reasons for civilization,and try to give the way haw to cure civilization crises inorder to achieved a civilized construction from the human beings whose represents the creation of a spirit of intiative because he can to decreased underdevelopment, and to leave it we could realized evolution, so that he believed that it must getting up thinks the human being with other fundamental condition like religious idea in order to achieved or make progress.

Keywords:

Religious idea; civilization; Renewal; underdevelopment; the change.

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

الملخص:

يعد مالك بن نبي أحد أقطاب الإصلاح حيث قدم رؤية لمعالجة ما يعانيه المجتمع العربي الإسلامي من جمود وتخلف، وكان هذا هو الهم الذي كرس له فكره وحياته، حيث ركز اهتمامه على البحث عن شروط النهضة ودواعي التحضر، وما يتطلبه من قواعد من أجل تحقيق البناء الحضاري، انطلاقا من الإنسان الذي يمثل محورها ببعث فيه روح المبادرة و التجديد، لهذا فالعودة إلى الحضارة تتوقف على الاهتمام بالذات الفاعلة والمرجعية التي يقوم عليها التجديد الحضاري وهي الفكرة الدينية باعتبارها من شروط البناء.

الكلمات المفتاحية: الفكرة الدينية؛ الحضارة؛ التجديد؛ التغير؛ التخلف.

مقدمة:

إن إشكالية الحضارة وإعادة الروح للأمة الإسلامية واسترجاع الفاعلية من اجل البناء، وتحقيق النهوض كانت محور المبادرات الإصلاحية التي حاولت إيقاظ هذه الأمة، بإعادة هيكلة الفكر العربي الإسلامي، إما بأفكار دينية، أو سياسية كمحرك نحو الاستمرارية، غير أن هذه أفكار لم تعالج المشكلة الحضارية، بل بقيت كحال المتفرج على تلك الحالة المرضية لإقتراحها لحلول جزئية أحادية الطرح (إما إصلاح سياسي أو ديني أو تربوي أو أخلاقي) فهي لم تتعرض لها بصورتها الشاملة،ولم تنطلق من مبدأ البناء الذي أساسه التغير وفعالية داخل المجتمع،وهذا ما تمحور عليه فكر مالك بن نبي الذي يرى بضرورة انطلاق من تشخيص أسباب التخلف إلى تقديم وسائل البناء وشروط تحقيق التنمية والنهضة، وذلك بالتحول من نقد العقل والذات إلى نقد

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

الفعل والحال، ولكن ما هي إستراتيجية وآليات التي قدمها مالك بن نبي للخروج من أزمة التخلف،وتحقيق النهوض الحضاري ؟

1- التخلف الحضاري:

اعتبر مالك بن نبي التخلف الحضاري مرض يتطلب دراسة عميقة يستخدم فيها التحليل النفسي لتشخيص أسبابه، والتي ردها إلى العلاقات الفاسدة في عالم الأشخاص التي تعطي نتائج سيئة على عالم الأفكار وعالم الأشياء ﴿ فسيادة المفاسد في عالم الأشخاص وتفشي أمرضه في المجتمع هو بداية منحنى السقوط الحضاري الذي خلقته واستحدثته عوامل نفسية أحطت من مستوى الروح والعقل، وقد تكون لا شعورية في الإنسان وفي غفلة من العقل لتمتد داخل الأمة، وتهيمن على حياتها الاجتماعية والاقتصادية﴾ (سعيد حسن.2003: 93)

و لكن ﴿ إذا كان المجتمع العربي لا يملك رؤية دقيقة لتحديد ملامح المجتمع الجديد الذي يريده كبديل للذي فرضه المستعمر منذ خمسة قرون عليه على الأقل أن ينظر إلى العوائق التي تسد منابع إبداعه﴾(أسامة أمين. الخولي.1994 :332)

وهنا نجد البحث عن حل لإشكالية التخلف وكيفية الخروج منه التي طرحها مالك بن نبي تعد امتدادا للسؤال طرحه رواد إصلاح جمال الدين أفغاني، الطهطاوي وشكيب أرسلان رشيد رضا، لماذا تأخر المسلمون؟وما السبيل لنهوض من جديد؟ غير أنه تميز بتناوله دراستها انطلاقا من نظرية نشوء وسقوط الدول و الحضارات التي أسس لها ابن خلدون حيث نوه بفضله، و اعتبره من الأوائل الذين أدركوا خطورة

الأزمة الحضارية حيث قال ﴿منذ قرون أراد عمالقة الفكر الإسلامي أن يطلق في الضمير الإسلامي والوعي الإسلامي صرخة خطر،وأن يطلق أبواق النذير من أجل التغير ﴾ (بن نبي مالك.1970 :133) و للعودة بالحضارة الإسلامية إلى أوج مراحلها حلل مالك بن نبي الحضارة إلى ثلاث مشكلات:مشكلة الإنسان، و الوقت و التراب.

وفسر مشكلة الإنسان على أنها تعود إلى تحديد شروط انسجامه مع التاريخ،أي ضرورة وعي الإنسان بحاله،وإحداثه للتغير المطلوب بنسف الأغلال النفسية التي تعيق حركته،أما مشكلة التراب فترتبط بشروط استغلاله لثروات في العملية الاجتماعية،ومشكلة الوقت فترجع إلى بث معناه في روح المجتمع وفي نفس الفرد،لذلك يرى أنه يجب أن نضع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت في أهدافهم لأن سر الإخفاق يكمن في إهمال صنع الإنسان، فتعقله الموضوعي لذاته الحضارية يخلصه من الرواسب التخلف والانحطاط وبذلك يستطيع أن يرفع مستواه المعرفي، والسلوكي إلى مستوى الحضارة.

2-الإنسان ومشكلات الحضارة:

يحتل العامل البشري (الذات الفاعلة) في فكرمالك بن نبي بعدا محوريا، فمشروعه الحضاري يتوقف على مدى فاعلية الإنسان من الجانب النفسي،وكذلك على ما يملكه من إمكانيات مادية،وإرادة الإنسان هي أهم عناصر الحضارة،وتفعيلها وتحليلها وتركيبها ،فهو صانع التاريخ،وصانع الحضارة ومصنوع بهما ﴿أي أنه شرط أساسي لكل حضارة ،لأنه محور فعالية حركتها،فهو الذي يعطي ويحدد القيمة

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

الاجتماعية ومعادلتها (الإنسان، التراب، الوقت)، وإذا اقتصر على التراب والوقت فحسب فلا يمكنهما القيام بأي تحويل اجتماعي﴾ (بن مسعود بدران.2015: 31) لأن الإنسان أساس الحضارة ،ووسيلتها وهدفها فهو وسيلة التغيير الحضاري،وإرادته هي مرتكز هذا التغير لأنه يؤثر في حركة المجتمع بثلاث مؤثرات بفكره، وبيده وعمله وبماله ﴿لذا فالحاجة إلى العناية بفكره (ثقافته) والعناية بتوجيه عمله ليحقق الفعالية القصوى والعناية بماله ليدخل في استثمار اجتماعي منتج ﴾ ﴿(بن نبي مالك .2013 :37) حتى يتمكن من بناء عالم ثقافي منسجم مع سنن الأفاق والأنفس ويحسن استثمار إمكاناته البشرية والمادية﴾(بن مسعود بدران.2015: 31).

إن طبيعة العلاقة بين الإنسان والمشكلات التي تحيط به، وموقفه منها وطرق تعامله معها هي وليدة معادلته الاجتماعية التي اكتسبها عبر مراحل التطور التاريخي، لتي ساهمت مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحديد ملامحها لديه سواء تم تلقينها كعادات وتقاليد اجتماعية أم تم ذلك وفق إرادة اجتماعية هادفة.

لهذا جعل مالك بن نبي﴾ الصورة الجديدة للحياة المشتركة تبدأ بفرد واحد،لأنه يمثل نواة المجتمع الوليد، وأكد على ذلك بمخاطبة القرآن الكريم لإبراهيم عليه السلام ﴾بأمة ﴾لقوله تعالى في سورة النمل اية16﴾ إن إبراهيم كان أمة﴾. فالمجتمع يتلخص في إنسان واحد. ﴾ (بن نبي مالك .2006 :17) و « آلية الحركة التاريخية إنما ترجع في حقيقتها إلى مجموع من العوامل النفسية التي تعد ناتجا عن بعض القوى الروحية

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

وهذه القوى هي التي تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني﴾(بن نبي مالك .2006 :17).

واعتبر حركة التغير على مستوى الفرد والمجتمع والحضارة ظاهرة دورية ،فلكل مرحلة نمط بشري معين،له خصائصه التي تميزه حيث يقول ﴿ أن نمو مجتمع معين لا يقوم على حقائق الجنس أو عوامل سياسية بقدر ما يخضع لخصائصه الأخلاقية والجمالية والصناعية المتوفرة في رقعة تلك الحضارة﴾.(بن نبي مالك.2013 :25) وهذه المراحل: هي مرحلة الروح، والعقل، والغريزة وهي كالأتي:

- **مرحلة ما قبل الحضارة**: وهي مرحلة الميلاد: يكون الإنسان طبيعي أو إنسان الفطرة يتمتع بطاقته الحيوية هدفه هو الحفاظ على البقاء والنوع.

- **مرحلة الحضارة الأوج**: تشهد تفوقا حضريا فهي تتجسد في حضور الفرد المكيف أو الإنسان المتكامل، فهو ذلك الفرد الذي خضع لصياغة تربوية تنقله من الفرد الخام إلى الشخص المكيف المندمج في المجتمع والمؤهل للقيام بدوره الاجتماعي المنوط به﴾ يرجع مالك بن نبي سبب ذلك الانتقال من وضعية ما قبل الحضارة إلى وضعية الحضارة إلى الفكرة الدينية التي تتولى إخضاعه إلى عملية تكيف شرطية ليس من شانها القضاء على طاقته الحيوية،ولكن تعمل على تنظيمها في علاقات وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية،وهذه هي التي توجهه توجيها أخلاقيا ليقوم بدوره الحضاري، فتنقله من هامش التاريخ إلى صانع وشاهد عليه﴾ (نقيب عمر.2009: 75)

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

- **مرحلة ما بعد الحضارة**: وهي مرحلة يشهدها المجتمع العربي فهي تجسيد لذلك الإنسان الذي خرج من أوج الحضارة و انتقل إلى مرحلة الأفول الحضاري﴾أي أنه ذلك الإنسان المتفسخ حضريا الذي لا يستطع القيام بأي وظيفة ،فقد سبق وأنجز وظيفته الحضارية وتحللت طاقته الحيوية وفقد فاعليته ،وإذ أعيد تركيبه وتكيفه من جديد فربما سينجح في انجاز دورة حضارية جديدة،فعملية إعادة التركيب والتكيف تعد تحديا مهما لمشروع النهوض وإعادة البناء﴾(بن نبي مالك .1977 :25). فالنهوض الحضاري مرهون بحركة وفاعلية إنسان الفطرة الذي تشبع بفكرة دينية أو إيديولوجية معينة ترفع توتره، وتدفع به إلى الحركة الفاعلة.

ومن هنا تعد الفكرة الدينية مؤهلا للدور الحضاري والمنطلق الأول في عملية البناء وتجاوز المشكلات الحضارية لتحقيق التجديد الذي هو شرط لتطور آلية حضارة لما تعانيه الأمة الإسلامية من ضعف.

فكيف حدد مالك بن نبي طبيعة التجديد الحضاري؟ وكيف يمكن أن يحقق غايته ؟

2-1 التجديد الحضاري: فعل إنساني مرتبط بقدرة الإنسان على الإبداع وإرادته في بناء حضاري، بمحاولة الإصلاح وإزالة المفاسد والعودة إلى حقل الحضارة، مع توفر شروط تاريخية ونفسية اجتماعية، حيث يعلب الفرد فيها دورا بالغ الأهمية لبنائها من خلال صلته بمجتمعه وعلاقته بالتاريخ.و تكون ﴾الشروط النفسية في البداية ذات طابع ذاتي خاص ثم تتبلور وتشق طريقها داخل المجتمع، فتصبح ذات طابع اجتماعي وبعض الشروط التاريخية يفرضها الاجتماع

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

البشري،وشبكة العلاقات الاجتماعية والحياة داخل المجتمع.﴾(بن نبي مالك.2013: 131)

و التجديد الحضاري في نظره: ﴿ جهد تربوي منهجي شمولي متكامل يقيم ويطور الواقع الفكري و النفسي والروحي والسلوكي والاجتماعي والحضاري للأفراد والجماعات والمجتمع... بشكل مستمر ليمكّن الأمة من استيعاب تحولات الحياة ومواجهة تحدياتها المتلاحقة ،كما يعتبره المرتكز الأساسي في العملية التغيرية برمتها و بدونه لا يمكن أن يحدث أي شيء في الواقع الأمة﴾ (برغوت الطيب.2004 :76). وبفعله تتم مواجهة وضعية التخلف والتبعية الحضارية اللتان تعيشهما الأمة الإسلامية،حيث يتحقق التغير الفكري والنفسي،والسلوكي والاجتماعي المطلوب فيها وصولا إلى تحقيق التوازن الذاتي والحضاري فعال الذي يمكّن الأمة من حفاظ على استقلالها الذاتي،حيث تكّون ﴿ حركة اجتماعية كلية يتكامل فيها وجود الأفراد،والجماعات والمؤسسات بتوجيه فعاليتها الإنجازية المخططة لتلبية حاجات الرفاه الاجتماعي الذاتي للمجتمع والأمة من جهة،وتمكينها من امتلاك القدرات الذاتية المتطورة لمواجهة التحديات التي تفرضها عليها حركة التدافع والتدخل الحضاري العالمية من جهة أخرى.﴾ (برغوت الطيب.2004 :108). وهذا يقتضي إحداث تغيرا حضاريا حيث تتم فيه ﴿عملية تأليف بين الإنسان والتراب والزمن بواسطة الدين الذي يعمل على توجيه الإنسان ثقافيا بما يؤهله لاستغلال وتوظيف طاقاته والمواد الأولية في الأرض،واستغلال

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

الزمن علميا واجتماعيا بما يؤدي به إلى حقل الحضارة .﴾ (السعد نورة خالد.1998 :106)

إن التغيير في نظر مالك بن نبي هو عملية إرادية مقصودة يقوم بها الإنسان للانتقال من وضعية مادية ومعنوية غير مرغوب فيها، تتسم بالجمود والتخلف إلى وضعية جديدة تتصف بالديناميكية، يجد فيها كل شروط التعبير عن إرادته و قدراته، وطموحاته.ومنه يتحقق تغيرا اجتماعيا يستهدف إقامة حضارة بواسطة نظام من العلاقات الاجتماعية المتخلفة أو بتركيب حضاري متقدم عن طريق شبكة العلاقات أخرى.

2-2 منطلقات التغير:

يرى مالك بن نبي أن التغير يجب أن يبدأ من النفس حتى تتمكن من فهم ذاتها وفهم الواقع المزيف امتثالا لقوله تعالى﴿ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ سورة الرعد الآية 12. فعملية التغير التي يقول بها لابد أن تنطلق بإصلاح النفس أولا، وبإصلاح الفرد يصلح المجتمع ﴿ غير نفسك تغير التاريخ ﴾ (بن نبي مالك .2013 :154)

فمشروعه الإصلاحي يبدأ بتغير الإنسان وإصلاح ذهنيته وعقدته اتجاه مخلفات الاستعمار،ولكن لتحقيق الفاعلية في المجتمع الإسلامي يرى بضرورة استئصال مركب قابلية للاستعمار من ذهنية ونفسية إنسان، فمنطلق التغير الأول يكمن في التخلص من الأمراض الاجتماعية وتصفيتها،وهذا بالقضاء على جميع الأفكار التي ولدتها ظروف التخلف وفي هذا يقول:﴿ليس المهم في بناء الإنسان الجديد تبديل نمط أو زي لباسه ونوعية أثاث منزله ومكتبه ...ولكن المهم أن

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

نحدد له الإطار الحضاري في مجال الثقافة،والأخلاق والاقتصاد وكافة المجلات وبكلمة واحدة أن نقلع ونصفي القابلية للاستعمار من عالمه الداخلي حتى تنطلق طاقته لتصفيته من عالمه الخارجي.﴾ (بن نبي مالك 1991. :155) أما الإطار المرجعي لهذا التغير يرتكز على تحديد معالم الذات المسلمة و الدين ﴿وهو المحور الذي يدور حوله الوجود الإنساني التاريخي سواء في المنشأ،أو المسار،أو المصير.﴾ (نقيب عمر.2009 :228)

ولإصلاح المجتمع من فساد السلوك،وإحياء نهضة حضارية يضع مالك بن نبي عناصر أساسية وأولية وهي بمثابة الشروط الأساسية لتحقيق ارتقاء حضاري أو بناء حضاري.وقد حدد ذلك في :الإنسان – والتراب والوقت ويرى أنه ﴿لا يتاح لحضارة في بدئها بالاعتماد على رأسمال فقط ، ولكن بذلك الرجل البسيط الذي يتحرك وبالتراب الذي يمده بقوته الزهيد، حتى يصل إلى هدفه في الوقت اللازم ﴾ (بن نبي مالك .2013 :48)، و قد جعل مالك بن نبي القيم الأخلاقية والجمالية نواميس أساسية لتحقيق التجديد الحضاري حيث يقول ﴿ إن مجتمعا معينا لا يمكن أن يؤدي نشاطه المشترك دون أن توجد فيه شبكة العلاقات التي تؤلف عناصره المختلفة، النفسية والزمنية، وإن كل علاقة هي في جوهرها قيمة ثقافية.يمثلها القانون الخلقي والدستور الجمالي الخاص بالمجتمع (بن نبي مالك.2013 :134) ذلك أن العلاقات الاجتماعية هي قائمة في حقيقتها على قيم وقوانين أخلاقية وجمالية حيث يكون الدين أو البعد الروحي هو أساسها إذ يقول ﴿ الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وهي

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

تهبط من السماء حيث تكون للناس شريعة ومنهلا﴾ مالك بن نبي نقلا عن (بوبكر جيلالي.2010 : 61)، والبعد الروحي هو الذي يضع الإنسان في التاريخ ويمكنه من بناء الحضارة،ومحافظة على استمراريتها حيث يحقق وجوده الإنساني.ومنه اعتبر الفكرة الدينية أو عقيدة منطلق الروح، التي تعمل على تغذيتها وتوجيهها حسب الغايات التي وجدت من أجلها،فهي تدفع إلى خلق الرغبة في التجديد والحركة وأحداث التغيير،فمن خلال استغلال الإنسان الفاعل للإمكانات الحضارية المتاحة باعتبارها سنده لبلوغ أهدافه، التي حددها من خلال رسمه لملامح مستقبله إثر تشرّبه بالفكرة الدينية التي شكلت الروح الدافعة لحركته، ورفعت طاقاته الإنتاجية إلى أعلى مستوياتها ليحول لحظات الزمن من ساعات، ودقائق ضائعة تتدفق في الفراغ إلى منجزات حضارية.

فعملية إنتاج الأفكار والقيم وحتى الأشياء التي تتم بفعل التجديد الحضاري تنبثق من الفكرة الدينية، فالإنسان لا يمكن أن يحقق هدفه إلا إذا سما بقيمه،وهذا لا يتحقق إلا إذا تحرر من كل القيود التي تقف حاجزا أمام تحضره.﴾ فالتغير يبدأ من داخل نفس الفرد ثم يشق طريقه خارج الفرد في المجتمع،والأمة والإنسانية جمعاء.﴾ (بن نبي مالك.2013: 75)

3-دور الفكرة الدينية في التغير و البناء الحضاري:

بين مالك بن نبي الموقع الذي يمثله الدين في حركة الحضارة، إذ اعتبره السر الذي يركب العناصر الثلاثة الأساسية (الإنسان والتراب والوقت)، ويجعلها قوة فاعلة في التاريخ ﴾ فالدين هو التعبير التاريخي والاجتماعي عن هذه التجارب المتكررة من القرون الماضية، كما يعد

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

منطق الطبيعة و أساس جميع التغيرات الإنسانية الكبرى،لذلك لن نستطع أن نتناول الواقع الإنساني من زاوية المادة فحسب﴾ (بن نبي مالك 2013. :154). فالدين في نظره ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها، وكأن الدين مطبوع في النظام الكوني،وكأنه قانون خاص بالفكر﴾. (بريتون كرين.1984 :126) فهولا يرى في الفكرة الدينية مجرد نسق من الأفكار الغيبية وتقتصر على الدين السماوي فقط ﴾ بل هي قانون يحكم فكر الإنسان،ويوجه بصره نحو أفق أوسع، تروض طاقته الحيوية وتجعلها محركة للحضارة.﴾ (بن نبي مالك 2013. :154) فهو يعتبره إحدى ثوابت الشخصية الإنسانية، بل إنه وراء كل المنجزات البشرية وفي هذا يقول ﴾ بقدر ما كان المجتمع الغربي (أوربا) يتحلل ويتفكك بالمواد المختلفة، فمن هذا التحلل ذاته استطاعت المسيحية أن تبني مجتمعا جديدا خطوة خطوة، وهذا المجتمع هو الذي نطلق عليه هذه الأيام (المجتمع الغربي).﴾ (بن نبي مالك.2006 :60) ﴾ فالمسيحية شكلت (الأنا) الأوربي أو ذاته، كما صاغت (المنظر)أوروبا الذي نشهده في منتصف هذا القرن العشرين .﴾ (بن نبي مالك.2006 :61) أي أن المسيحية كانت المفعل الأول لشروط الحضارة الأولية في الغرب.

وقد بين مالك بن نبي الوظيفة الاجتماعية للدين وتأثيره على النفوس بحيث تتدخل في بناء الشخصية الإنسانية وتركيبها الثقافي، وتعمل على إحداث تغيرا اجتماعيا، ﴾ أن الفكرة المسيحية أخرجت أوروبا إلى مسرح التاريخ، وبنت عالمها الفكري. ﴾ (مسعود بدران.2013 :57)

فالبناء الحضاري في نظره قائم على قانون التفاعل، فالعناصر الأولية تبقى ساكنة ما لم تتدخل الفكرة المركبة محدثة الشرارة الروحية التي تجعلها ديناميكية فهي تعمل﴿ على تحريك العناصر الأولية للحضارة وإدخالها في إطار ديناميكية تاريخية، وبغياب هذا المركب فإنها لا تحدث أثرا في التاريخ ،فالدين هو المفعل للشروط الأولية للحضارة والمكون للدافع النفسي الأساسي الذي يخرج الحضارة إلى مسرح التاريخ (مسعود بدران.2013 :51)﴾ كما أكد على الفعالية التي تنتج من خلال التركيب التاريخي للعناصر الأولية، لأنها في جوهرها منهج فكري،ومسألة عنده هي مسألة أفكار ومناهج وليست وسائل،وهذا ما أعابه على العالم إسلامي الذي اهتم بالوسائل المادية دون الاهتمام بالثقافة وما تتطلبه من مناهج، رغم أنها هي التي تشكل الإطار الذي ينظم سلوك الفرد التفاعلي بين عناصر الوجود الاجتماعي، فإذا ما تكونت في مجتمع نشأت فيه تلقائيا شبكة صلات الثقافية، وتحددت فيه فعالية الفرد، فالثقافة إما أن تكون زادا ومحيطا يحرك إرادة الفرد ويحرر طاقته في المجتمع،وإما أن تكون عائقا حيث تكون منبعا للعطالة وتسبب اللامبالاة الفردية والاجتماعية ،لذا فهو يجعل الأساس الأخلاقي مبدأ الثقافة حتى يكون ومنتجا للفعالية، وبالتالي يمكن تحقيق التجديد الحضاري.

فالفكرة الدينية عند مالك بن نبي أساس كل مشروع تغيري، فهو يرى أن الدين القادر على إحداث تغيرا، بما أنه أساس تفاعل عناصر الحضارة، فالإنسان بطبعه ميال إلى الدين، والتدين والظاهرة الدينية تصبح بالصيرورة التاريخية ظاهرة اجتماعية ﴾، فلزما أن يكون

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

الشخص تابعا في معتقداته و لدين مجتمعه حيث يكون الدين أساسا قاعديا لفكره ﴾ (بوعرفة عبدالقادر.2001 :22) فالعلاقة الروحية بين الإنسان وخالقه هي التي تُوْجد العلاقة الاجتماعية،أي بواسطة شبكة من العلاقات الروحية التي تخلق شبكة العلاقات الاجتماعية .

و الإنسان الذي يوثق علاقته مع الله حتما ستكون علاقته مع الأفراد على أحسن ما يرام لأن محبته نابعة من محبة الله، فالدين يلعب دورا أساسيا في توطيد العلاقات الروحية،حيث تنعكس هذه على العلاقات الاجتماعية، فالأثر التغيري للفكرة الدينية عنده يشمل بالدرجة الأولى الإنسان باعتباره أساس المشكلة الحضارية بحيث تلعب دورا هاما في توجيه الثقافة الإنسانية.

و﴾يستند مالك بن نبي في تصوره هذا على واقع المجتمع الإسلامي فعند ظهور الدين الإسلامي أدى إلى تغير في البناء الثقافي، فالإسلام عني بتغير الأفكار وعقائد الجاهلية التي كانت سائدة في المجتمع العربي وعمل على تجديد منهج الحياة السليمة الصالحة الكريمة.﴿ (السعد نورة خالد.1998 :131)وقد عرض مالك بن نبي ظاهرة وأد البنات في المجتمع الجاهلي ودور القرآن في تغيير هذه القيمة الخلقية السلبية التي كان أساسها الظروف الاقتصادية،وكيّف عمل الإسلام على إبطال هذه الظاهرة إذ يقول﴾ ولنأخذ من المجتمع العربي الجاهلي التجربة من عادة وأد البنات،فتلك حالة فيها قيمة خلقية تؤثر كقوة من قوى التغيير في نطاق مجتمع.﴿ (بن نبي مالك .2006 : 48) فتغير الوضع وإبطال هذه الظاهرة ارتبط بالتغير الأخلاقي الذي صاحب نزول القرآن في الوسط الجاهلي، فالدين

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

خلق نظاما اجتماعيا ﴾فالتاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهده والمثل الأعلى وحاجاته الأساسية ورسالته التي يؤديها في المجتمع.﴿(بن نبي مالك .2013 : 23) فالفكرة الدينية في نظره هي ذلك الظرف الذي تولد فيه الحضارات، فيكون لها سلطان على ضمير الإنسان وفكره، فهي التي تتحكم فيه حيث تتولى توجيه طاقات الحيوية للفرد توجيها اجتماعيا فتحرره من قانون الطبيعة،إذ تتحقق فاعلية الفرد المسلم،ويحقق شرائط الاستخلاف في الأرض.

إن المشكلة الحضارية التي يمر بها العالم الإسلامي تستلزم حلها بالعودة إلى الدين كمرجعية لإعادة استئناف دورته الحضارية، بما أنه القانون الكلي الذي يحكم التاريخ،حيث تكون الثقافة هي المنهج الذي يقوم عليه التغير،فالثقافة هي الثوب الاجتماعي الذي يلبسه الأمي والمثقف لأنها تمثل السلوك الفعال فتعكس العلاقات الضرورية بين الفرد والمجتمع ،فهي التي تتحدد عناصر الحضارة الجوهرية المتمثلة في الدستور الخلقي والذوق الجمالي ﴾وهذا عنصر مهم في رسم الصورة العامة لأي مجتمع، فهو الذي يوضح خصوصيته، فالإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمالي.﴿ (بن نبي مالك .2013 : 103) من هنا فقد أوضح مالك بن نبي الدور الذي تلعبه ﴾ الفكرة الدينية في عملية التغير بالنسبة للإنسان،والتراب والوقت بحيث تتدخل في تحويل الوقت من الحالة الساكنة والخامدة إلى حالة وظيفة باستثماره اجتماعيا ودمجه في جميع العمليات الصناعية و الاقتصادية والثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر النشاطات﴿.(بن نبي مالك .2013 : 131)

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

وفي هذا أكد على عامل التربية ودورها في تفعيل اهتمام بالوقت فالتربية وسيلة أساسية لكي يدرك من خلالها الأفراد قيمة الوقت، كعملة فريدة من نوعها ولاسيما في المجتمعات المتأخرة حضاريا اليوم ومنها المجتمع الإسلامي،وعلى هذا دعا إلى﴿ تخصيص نصف ساعة يوميا في بداية لأداء واجب معين، فإذا ما خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منظمة وفعالة، فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل الموجهة لخدمة مصلحة الحياة العامة للمجتمع في جميع أشكالها العقلية الخلقية الفنية والاقتصادية﴾ (بن نبي مالك .2013 : 60.61) فالفكرة الدينية تلعب دورا هاما في عملية النهوض،حيث تبعث طاقة نفسية محملة ومشحونة بدفع روحي يخلق لدى الفرد روح التفاني في تعامله مع الوقت، أو في عمله وفي غياب هذه الشحنة الروحية لدى الإنسان تضمحل قيمة الوقت باضمحلال قيم وأخلاق وثقافة هذا الإنسان تطغى عليه الغرائز والميول، والأهواء والرغبات، فيعيش ببعده البيولوجي فقط، وكأنه حيوان لا يهمه أن يمضي الوقت أو يزول،ومن هنا يظهر الفرق في الفعالية النفسية منعدمة وثقافته غير موجهة بأية قيم أو أهداف سامية حيث يفقد الوقت قيمته بغياب الفعالية الروحية للإنسان، ويبن مالك بن نبي ذلك من خلال التعرض للمجتمع الغربي الذي وصل نقطة الذروة في مسيرته إلى الأمام مع تضيع تام للجانب الروحي الذي سينتج أثارا سلبية.

وبالتالي فالفكرة الدينية تعمل على تركيب بين هذه العناصر الثلاث (الإنسان التراب والوقت) بحيث تقوم بتحريك بناء المجتمع، وذلك بإيجاد الرابطة التي تجعل الأشخاص يتحركون وفقا لمحددات رسمها عالم الأفكار

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

بوسائل من عالم الأشياء، الأول الذي يقصده مالك بن نبي هم الأفراد الذين يشكلون المادة الأولية للنشاط الاجتماعي، والعالم الثاني يقصد بها الطاقة المحركة للعالم والمحددة لوجهته التاريخية، والعالم الثالث يقصد به بمجموع الوسائل والإمكانيات التي يستخدمها العالم الأول أثناء حركته الاجتماعية وسيره التاريخي، وبهذا يؤكد مالك بن نبي على أهمية الدين في إحداث التغير والتركيب الحضارة.

4- مالك بن نبي و قراءة الحاضر والمستقبل:

اعتبر مالك بن نبي حل مشكلة الفعالية مرهون بالثقافة،فوجود الفعالية أو غيابها مرهون بالنموذج الثقافي السائد، الذي يوجه السلوك الإنساني إما نحو العطالة و الخمول، وإما نحو الحركية والإنتاج حيث يكون الإنسان عنصرا محوريا فعالا ويستغل الوقت والتراب.

كما جعل فاعلية الإنسان تتصف بالتغير، فحينما تغيب يحل السكون لهذا فهو يدعو إلى بناء إنسان جديد،تكون له بصمته الخاصة في صناعة أحداث التاريخ، فكل الحركات الثورية وإصلاحية سيكون مصيرها الفشل ما لم تستهدف تغير الإنسان جذريا، حيث لا تقف في حدود الجوانب الفكرية والمادية، بل يجب أن تنفذ إلى أعماقه لتقضى على جراثيم شلله وتحرك وجدانه بحيث تخلصه من أغلاله، ومن رواسب الماضي، إذ توقد فيه ثورة داخلية تندلع في أعماق نفسه فتزيل فراغه الروحي والأخلاقي الذي انعكس سلبا على حياته وجعله عاجزا.

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

إذ ينتقل من وعي بالصعوبات إلى تجاوزها لحالة **خلق وإبداع** (التجربة الماليزية والتركية مثلا عن ذلك)، ومن حالة فراغ كوني إلى الاحتواء كوني (مثل المجتمع الغربي).

كما أن المسلم إذا حقق توازنه وتعقل ذاته، فانه سيدرك بأنه صاحب رسالة سماوية ومطالب بتبليغها، إذ يستطع أن يقدم لغيره العلاج الروحي المستمد من القيم السماوية ﴿ فالشروط الأخلاقية والمادية هي التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده،في كل طور من أطوار وجوده، من الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية لنموه﴾. (بن نبي مالك .1991 : 43) فالذات الإسلامية تمتلك طاقات حيوية فعالة تحتاج إلى حشد فرغم ظروفها اجتماعية والسياسية لأنظمة مستبدة تكرس الخمول إلا أنها قادرة على التغير، إذا وظفت شروطها،ولكن على خلاف ذلك فهي تجعل الإنسان يملك التغير كفكرة من دون مبدأ، أما من الجانب الفعلي فهي فتتجاوزه، لأنه أصبح يرى فكرة التغير أنها تفرض عليه من الخارج ولا تأتي من الإرادة واعية، وهادفة لذلك سرعان ما تتلاشى .

خاتمة:

وما يمكن أن نخلص إليه هو أن التقدم ليس عملية مرتبطة بحقل من حقول الحياة، بل هو عملية حضارية تاريخية تقوم بدرجة الأولى على استعادة روح إرادة التحضر، التي تنبثق من الذات الفاعلة التي رفعت من مستواها المعرفي والسلوكي إلى مستوى الحضارة،حيث يكون فجر النهضة والتغير منبعث من تلك الثورة الداخلية التي تقضي على كل العقد الموروثة المستوطنة في داخلها، وتكون القيم الأخلاقية دستورها

وغايتها، لأن استبعاد القيم يولد فرغا روحيا، وصراعا ماديا لذلك لا بد للمسلم أن يقتنع أن له دورا ساميا ينبغي أن يؤديه بإخلاص فالإنسان المتحضر هو الذي تكتمل حضارته بالبعد الذي يضفيه الإسلام على الحضارة، ولهذا فان إعداد شروط نفسية ومادية للتاريخ هي إعداد إنسان لصنع التاريخ.

*** المراجع:**

القرآن الكريم

1/ بن نبي مالك. . 1977.تأملات .ط3. دمشق .دار الفكر .

2/ بن نبي مالك (2013.) وجهة العالم الإسلامي .ج2. ط1. الجزائر .دار الوعي للنشر والتوزيع.

3/ بن نبي مالك (2013)مشكلة الثقافة.ط.1 الجزائر. دار الوعي للنشر والتوزيع .

4/ بن نبي. مالك (2013.) شروط النهضة ط1. الجزائر.دار الوعي للنشر والتوزيع

5/ بن نبي مالك (1991).القضايا الكبرى ط.1. .دمشق .دار الفكر.

6/ بن نبي مالك. (2006) ترجمة عبد الصبور شاهين .ميلاد مجتمع. ج1. ط6.دمشق .شبكة العلاقات دار الفكر .

7/ أسامة أمين. الخولي.(1994) الإبداع الفكري الذاتي في العالم العربي .القاهرة جامعة الأمم المتحدة والهيئة المصرية العامة للكتاب.

8/ بدران بن مسعود بن الحسن.(2015)الحضارة الغربية.أنموذج .مالك بن نبي . الجزائر دار بن مرابط..

9/ برغوت الطيب (2004).الفعالية الحضارية والثقافية السينية .ط 1. الجزائر دار قرطبة للنشر والتوزيع.

10/ برغوت الطيب (2004) محورية البعد الثقافي في إستراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي. ط 2 الجزائر.دار قرطبة للنشر والتوزيع .

ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
ص.ص 273- 292

11/ بوعرفة عبد القادر (2001).الحضارة ومكر التاريخ تأملات في فكر مالك بن نبي. ط5. وهران .دار الغرب للنشر والتوزيع .

12/ بوبكر جيلالي (2010). الإصلاح والتجديد الحضاري لدى محمد إقبال ومالك بن نبي بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي، ط1، الجزائر .دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع

13/ برينتون كرين. (1984)تشكيل العقل الحديث.تر. شوقي جلال (82).الكويت.سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة وللفنون والآداب

14/ حسن سعيد، (2003) حضارة الأزمة ماذا قبل الانهيار. ط1، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

15/ السعد نورة خالد (1998.)التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي دراسة في بناء النظرية الاجتماعية ط1. الرياض .دار السعودية للنشر والتوزيع

16/ عمر نقيب(2009). مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي . نحو نظرية تربوية جديدة للعالم الإسلامي المعاصر. ط1. الجزائر. الشركة اللبنانية.

للإحالة على هذا المقال:

ـ بلحنافي جوهر (2020)، « **دور الفكرة الدينية في تحقيق التجديد الحضاري عند مالك بن نبي** ». **المواقف**، المجلد: 16، العدد:02 ، جوان 2020، ص. ص 273– 292.